الفصل العاشر:

التحسين المستمر

إن التطلع إلى التحسين عملية مستمرة في (أ.ج.ش) من منطلق أننا على يقين أن ما نحن عليه يوجد ما هو أفضل منه، فعلينا أن نستمر في البحث عنه ونتعلمه ونطبقه، وهكذا.

لقد حضَّ الله على التسابق في عمل الخير عمومًا، فقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ {البقرة : ١٤٨} وهذا الاستباق من البديهي أن يكون فيه استمرار في التحسين إلى ما لا نهاية.

وقال الشاعر المسلم:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

وقيل في الحكم: "من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو على النقصان، فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات".

وقال الشافعي: **"والله لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته"**، هذا القول فيه دلالة على طلب التحسين والتخلي عن عوائق الرقي.

يوجد أمر هام يجب توضيحه في شأن التحسين المستمر في الإسلام، وهو أن الإسلام يشتمل على ثوابت لا يجوز للعباد الخوض فيها، باعتبارها من الله

obeikandi.com

الخالق والمشرع وبها تستقيم الحياة، وتتم صيانة البشرية من الزلل والتخبط، ورغم ذلك حث الشارع على الإبداع والإحسان في الأداء الفعلي والارتقاء في ظل هذه الثوابت، أما الأمور الأخرى المتغيرة فقد ترك فيها العنان للتحسين، وفيما يلي توضيح ذلك:

من المعلوم أن الإسلام يحتوي على أمور إنشائية مثل (العقائد، والفرائض، والمحرمات)، وأمور "مصلحية" تدور حول مصالح العباد في أمورهم الحياتية، والأمور الإنشائية علينا فيها معرفة الأمر والاجتهاد في التنفيذ، والأمور "المصلحية" أطلق للعقل فيها العنان ما لم يصطدم بقاعدة شرعية أو ارتكاب محرم، ويدخل في ذلك قول الرسول ﷺ: **"أنتم أعلم بأمور دنياكم"**.

إن موضوع الثوابت والمتغيرات كتب فيه علماء المسلمين مجلداتٍ وكتبًا ومراجعَ كثيرة، وقد يظن البعض أن الثوابت تعتبر تقييدًا للعقل، والحقيقة أنها صيانة له وللبشرية جمعاء، وذلك للأسباب التالية:

١) إن هذه الثوابت من الله العليم الخبير الحكيم، وبالتالي فهي قمة الإحسان؛ لأنها ليست من صنع البشر ليعتريها النقص.

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾{الملك : ١٤}.

٢) الثوابت في الإسلام تمثل المعتقدات والقيم السامية التي يجب أن يتمحور عليها الإنسان لبناء ذاته التي بها يكون إنسانًا سباقًا، حيث يعمل على

obeikandl.com

الرقي بذاته وبمن حوله، ويكون عنصرًا فاعلًا في البيئة المحيطة به مقويًا لإيجابياتها ومعالجًا لسلبياتها.

٣) لا يجوز لمجموعة من الجهلاء التصدي لتحسين ابتكار ما أو عمل ناجح ناتج عن مجموعة من العلماء في مجال معين، وكلا المجموعتين من البشر، فهل يعقل أن يتصدى مجموعة من الناس (مهما كان علمهم) لتعديل شرع الله وكلامه- جلا وعلا- بحجة تحسينه؟!.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ {الصف:٨}.

٤) إن هذه الثوابت تعتبر أقوى عناصر الربط بين سائر البشر بعضهم البعض من جهة، وبين البشر وخالقهم من جهة أخرى.

٥) إن المجالات التي تعرضت لها الثوابت وفّرت على الإنسان جهدًا كبيرًا، بحيث يتوجه هذا الجهد لتحسين المتغيرات، وأثبت التاريخ أن الجهد البشري الذي بذل في تلك المجالات كان جهدًا ضائعًا بل أدى إلى تخبط، أو الوصول إلى نتائج مضللة، كما حدث في نظرية دارون وغيرها.

وطالما أن رافد الأجر والثواب من الله لا يتوقف وليس لـه حدود في القدر والزمان والمكان وذلك لعبيده المحسنين، فلا يمكن أن تتوقف عملية الإحسان والتحسين بل سوف تستمر وستكون قوة الإيمان دافعًا للتفعيل مع هذا الاستمرار.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾{الكهف :٣٠}.

obeikandl.com

الثوابت في الإسلام وفرت على الإنسان
جهدًا كبيرًا، ليبذله في الإبداع للتحسين
المستمر للمتغيرات في أمور الدنيا

obeikandl.com